المستشرق الفرنسي (Louis Massignon=لويس ماسينيون) تكوينه المعرفي واهتمامه بالتصوف الإسلامي (دراسة تاريخية تحليلية)

آيات عزيز جري

أ.د. شهيد كريم محمد الكعبي

كلية التربية / جامعة ميسان

المقدّمة:

اعتنى الاستشراق الفرنسي كتيار أكاديمي بدراسة الثقافات الشرقية وخاصة الإسلامية منها، وكان ميدان التصوف والجوانب الروحية في الإسلام من بين أهم الحقول الدراسية التي خاضت فيها أقلام المستشرقين الفرنسيين، وغيرهم، لاسيما وأنه لاقى رواجًا واسعًا في القرن التاسع عشر في أوربا، وأصبح بمثابة(الموضة)في فرنسا حينها؛ ردًا على طغيان النزعة المادية على الفكر والعقل الأوربي، فعمد المفكرون الأوربيون لإحياء تراثهم الديني، كما فعلوا لحضارتهم بالعودة الى التراث اليوناني والروماني القديم، ولكن هذه المرة صوب الشرق واهتماماته الروحية. هذا من جانب.

ومن جانب أخر، أراد المستشرقون إلفات النظر إلى التشابه بين المعتقدات الصوفية والمسيحية؛ لغاية لا تخلو من فرض الانتحال، أي تأثر التصوف الإسلامي بالرهبانية المسيحية.

لذا فلقد برز عدد من المستشرقين لتعزيز هذا الأمر ونخص منهم بالذكر المستشرق الفرنسي المتصوف(***Louis Massignon***= لويس ماسينيون)، الذي انماز عن غيره من المستشرقين الأوربيين بشكل عام، بالانغماس في ميدان التصوف الاسلامي، وبالأخص بعد إعداد اطروحته عن الحلاج عام(١٩٢٢م).

أولًا- لويس ماسينيون= *louis Massignon* حياته وتوجهه نحو الاستشراق:

أبصر ماسينيون النور في(٢٥تموز/١٨٨٣م) في ضاحية(نوجان سورمان) على ضفة نهر المارن شرقي باريس[١]، في بيت يتربع على موقع تأريخي شهير، أذ يقع منزل عائلته على أنقاض القصر الملكي، الذي شيده الملك الفرنسي(شارل الخامس١٣٣٨-١٣٨٠م) بين هذه الضاحية وبين غابة(فانسيين)، والذي أصبح بعد ذلك المكان المفضل لاستراحة وريثه الملك(شارل السابع١٤٠٣- ١٤٦١م)، والذي أهداه بدوره إلى محظيته(آنييس

(١) يُنظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ٥٢٩؛ العقيقي: المستشرقون، ٢٨٧.

سوربل)[١]. وكان جدهُ الصيدلاني(*Ferdinand Charles Massignon*= فرديناند تشارلز ماسينيون) قد اشتراها وبناها عام(١٨٨٣م)[٢].

ينتمي ماسينيون لأسرة فرنسية مرموقة من مقاطعة(الفيسكان) الفرنسية، المشهورة بطابعها الفرنسي المحض، والكثلكة الصلبة، ووالدته هي السيدة(ماري هوفن)إحدى النساء الكاثوليكيات الورعات، أما أبوه فهو فنان فرنسي(نحات ورسام) اتخذ له أسمًا فنيًا مستعارًا في عالم الفن هو(بيير روش)[٣].

أكمل ماسينيون دراسته الإعدادية في مدرسة(مونتين)، وانتقل منها إلى ثانوية(لويس الكبير) أو(*Louis le Gran* = ليسيه لوي لوجران) في باريس، وهي من أبرز المدارس الثانوية في فرنسا كلها، ومخصصة لإعداد الطلاب لدخول المعاهد العليا، وقد تعرف خلال هذه المرحلة على(هنري ماسبيرو)، الذي سيصبح فيما بعد عالمًا في الحضارة الصينية[٤].

وفي الرابعة عشرة من عمره عمل ماسينيون وبالتعاون مع أصدقائه في الثانوية على اصدار مجلة صغيرة سموها (نحلة فرنسا)[٥]، وفي عام(١٩٠٠م) دخل ماسينيون جامعة باريس ونالَ شهادة الآداب والفلسفة عن دراسته(*La Langue d'Honoré d'Urfé* =مفردات الحب عند أونوريه أوروفا)، وفي عام(١٩٠١م) حصلَ على شهادة في قسم الرياضيات، وهذا ما يفسر ولعه بالرياضيات طيلة حياته[٦].

سافر ماسينيون إلى المغرب والجزائر عام(١٩٠٤م)، وأعدَّ بحثًا بعنوان(*Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle : tableau géo graphique d'après Léon l'Africai* = لوحات جغرافية من المغرب خلال السنوات الخمس عشرة الأولى في القرن السادس عشر وفق ليون الافريقي)،

---

(١)يُنظر: فخري نورس الكيلاني، بمناسبة مرور مائة عام على ولادة المستشرق العالم لويس ماسينيون(متابعات مجلة الموقف الأدبي، العددان ١٥٥- ١٥٦، آذار- نيسان ١٩٨٤م)، ١٩٠.

(٢)يُنظر: فخري نورس الكيلاني، بمناسبة مرور مائة عام على ولادة المستشرق العالم لويس ماسينيون(متابعات مجلة الموقف الأدبي، العددان ١٥٥- ١٥٦، آذار- نيسان ١٩٨٤م)، ١٩٠.

(٣)يُنظر: فخري الكيلاني، بمناسبة مرور مائة عام ،١٩١.

(٤) يُنظر: فخري الكيلاني، بمناسبة مرور مائة عام،١٩١؛ بدوي، موسوعة ،٥٣٠.

(٥)يُنظر:عبدالرزاق الاصفر، ماسينيون ما له وما عليه(بحث منشور في مجلة التراث العربي، المجلد٢١، العدد٨٣-٨٤ لعام١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ،١٨٥.

(٦)يُنظر:بدوي، موسوعة ،٥٣٠؛ اديب عامر: ماسينيون المستشرق والانسان (بحث منشور في مجلة الإنماء العربي للعلوم الانسانية ،العدد٣٢ لعام ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م) ،٣٥١-٣٥٢.

وحصل فيه على دبلوم الدراسات العليا من جامعة السوربون في باريس(١٩٠٦م)، ودرس على يد المستشرق(*Alfrred Le Chatelier*= ألفرد لو شاتليه)[١] الحضارة الإسلامية من الناحية الاجتماعية[٢].

ارتبط ماسينيون بالجزائر بالذات؛ لوجود روابط قديمة بين بعض الجزائريين وأفراد عائلته، وكان لهذه الرحلة دور كبير في تعلمه العربية، بعد أن تعرضت قافلته لهجمات البدو، وقيل أن مترجمة قد تآمر عليه؛ فكرس نفسه لتعلم اللغة العربية بعد عودته إلى باريس، وحصل على شهادة الدبلوم فيها من مدرسة اللغات الشرقية الحية عام(١٩٠٦م)[٣].

بدأ ماسينيون نشاطه الاستشراقي بعد مشاركته في المؤتمر الدولي(الرابع عشر) للمستشرقين في الجزائر عام(١٩٠٥م)، ولقائه هناك بكبار المستشرقين أمثال جولدسهير[٤] ، وبلاشير، وشاتليه أستاذهُ في الاستشراق[٥]، ومن ثمَّ مكنته معرفة اللغة العربية من التعرف على علوم الشرق والإسلام، كما ساعده على ذلك انتخابهُ في عام(١٩٠٦م)عضواً في المعهد الفرنسي لعلم الآثار في القاهرة، فتابع دروسه في الجامع الأزهر عام(١٩٠٩م)[٦].

---

(١) مستشرق فرنسي ولد عام(١٨٥٥م)، واهتم بالأوضاع الاجتماعية والسياسية في العالم الاسلامي، وعلى وجه الخصوص الإسلام في منطقة افريقية والمغرب العربي، كلف برئاسة البعثة العلمية في مراكش(١٩٠٥م) لإنشاء مجلة العالم الاسلامي، التي أشرف على اصدارها تلميذه لويس ماسينيون، وتولى كرسي علم الاجتماع الاسلامي في الكوليج دي فرانس، وخلفه من بعده أيضًا لويس ماسينيون، توفي لو شاتليه عام(١٩٢٩م)، ومن اهم مؤلفاته: الإسلام في القرن التاسع عشر، والإسلام في افريقية الغربية، و الطرق الصوفية الإسلامية في الحجاز .يُنظر: بدوي، موسوعة،٥١٧.

(٢)يُنظر:بدوي، موسوعة المستشرقين،٥٣٠؛ جورافيسكي: المسيحية والاسلام،١٠٢.

(٣) . *Angelie : Écrits Memorables ,vole1,p.I-XXXVIII.* ، علي بدر: ماسينيون في بغداد ، ٧٣.

(٤) مستشرق مجري ولد لأسرة يهودية عام(١٨٥٠ م)، ودرس في بودابست، وبرلين، وجامعة ليبستك، وحصل على الدكتوراه فيها عام(١٨٧٠م)، عن شارح يهودي للتوراة في العصور الوسطى، زار عدد من البلدان والمناطق الغربية والشرقية، ثم عاد الى بودابست ليشغل بعض المناصب هناك وليعكف على التأليف وتدريس اللغات السامية، اهم مؤلفاته :الظاهرية مذهبهم وتاريخهم، ودراسات اسلامية بجزأين، محاضرات في الاسلام او العقيدة والشريعة في الاسلام، اتجاهات تفسير القران او مذاهب التفسير عند المسلمين . يُنظر:بدوي، موسوعة ،١٩٧-٢٠٣.

(٥)يُنظر: ساسي، نقد الخطاب ،٢٠٥ ،٢٠٥؛ سربي سليمان:موارد آراء المستشرق ماسينيون موارد اراء المستشرق لويس ماسينيون من كتب الشيعه وتفنيدها دراسه وصفيه تحليليه نقديه (رسالة ماجستيرغير منشورة ، قدمت الى مجلس كليه الدعوة واصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،(١٤٣٦ه / ٢٠١٥ م) ،٤٦.

(٦) يُنظر: فخري الكيلاني، بمناسبة مرور مائة عام،١٩٢؛ الربضي، لويس ماسينيون،١٥.

ومثل عام(١٩٠٨م)تغييرًا جذريًا في حياة ماسينيون بتعرفه على الحلاج فكان ذلك بمثابة لحظة صوفية غامضة أثرت على مجرى حياته في شتى النواحي وعلى وجه الخصوص الجوانب الروحية وتوجيه طبيعة دراساته فيما بعد[١] ، وقد عمل ماسينيون بين عامي(١٩٠٧-١٩٠٩)في التنقيب عن الآثار في العراق، وتعرف خلالها على كرم الضيافة العربية في بغداد، التي حظى بها خصوصًا عند أُسرة آل الآلوسي[٢]. وتمخض عن أعماله تلك الكشف عن آثار(قصر الأخيضر) أو(السدير)، وإعداده مخطط لبغداد في القرون الوسطى في مؤلفه الصادر عام(١٩١٠م)، بعنوان(*Massignon en Mesopotamie* = بعثة إلى بلاد وادي الرافدين)[٣].

أتهم ماسينيون الذي كان يرتدي زي ضابط عثماني، بمؤامرة ماسونية[٤]، وأعتقل بتهمة التجسس ضد السلطات العثمانية، فبذل(آل الآلوسي) جهودًا كبيرة لإخراجه، ويرجح علي بدر تعرفه حينها على الحلاج وسيرته[٥]. بينما يصرح ماسينيون نفسه في مناسبات عدة بأنه تعرف على الحلاج عن طريق صديقه الإسباني المنحرف(دي كوادورا)، الذي سلمه كتاب(فريد الدين العطار) الشاعر الصوفي ، وأخبره عن الحلاج، وعذابات الصليب المشابهة للمسيح التي تعرض لها، فأثار الحلاج منذ ذلك الحين اهتمامه وشغفه[٦].

وخلال رحلته تلك زار ماسينيون العديد من المناطق في العراق، ومنها مشاهد الشيعة في النجف والكوفة وكربلاء، ومرقد(سلمان باك)، الذي نال اهتمامًا واسعًا من قبله، وبقايا إيوان كسرى وغيرها من الأماكن[٧].

في نهاية عام (١٩٠٨م) حضر المؤتمر الدولي للاستشراق في(كوبنهاجن)، وتعرف على خلاله على(شارل دي فوكو)، وربطته به علاقة صداقة قوية أستمرت حتى وفاة الأخير[٨]، ومن ثمَّ عاد ماسينيون عام(١٩٠٩م) إلى جامع الازهر، وبدأ بالإعداد لأطروحته عن(الحلاج)، ونال بها شهادة الدكتوراه من السوربون عام(١٩٢٢م)،وعينته الجامعة المصرية أستاذًا للتاريخ والفلسفة للمدة(١٩١٢-١٩١٣م)، قام خلالها بالعديد من

---

(١) يُنظر: بدوي، موسوعة ،٥٣٠-٥٣١ .

(٢) يُنظر: الربضي، لويس ماسينيون،١٦.

(٣) يُنظر: جورافيسكي، الاسلام والمسيحيه،١٠٥.

(٤) حركة صهيونية يزعم أصحابها بأنها رسالة دينية، تعمل على تهويد الشعوب، وتبني أفكارها وشعارتها اليهودية. يُنظر: عبد المنعم ، موسوعة الفلسفة ،١١٩٣-١١٩٦.

(٥) يُنظر: علي بدر، ماسينيون في بغداد،٧٥.

(4) *Ollivry :Louis Massignon, P.201.*

(٧)يُنظر: علي تابليت، لويس حياته واعماله(.مقال منشور في مجلة اللغة و الادب ،العدد٩ لعام١٤١٧هـ/١٩٩٦م):١٨٥؛حسني سبح: خواطر وسوانح وعبر في أحياء ذكرى مستشرق. (بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية، مج٥٩، العدد٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ،٤٤٩.

(٨)يُنظر: صابر عبده، قراءة نقدية لآراء ماسينيون،٣٦٩.

الرحلات إلى الحجاز وبيروت وحلب ودمشق و الأستانة[١]. وفي عام (١٩١٣م)تزوج ماسينيون من ابنة عمه(مارسيل)، وبارك المطران (ليفناك ليون) زواجهما باسم (شارل دي فوكو)[٢].

برزَ ماسينيون في الحرب العالمية الأولى كساعٍ لتسويغ الهيمنة الفرنسية الاستعمارية على الشرق؛ لتسلمه عدد من المناصب في السلك العسكري السياسي الفرنسي، إذ كان مستشارًا لوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا، ومستشارًا لـ(جورج بيكو)في اتفاقية(سايكس–بيكو)، وعُين مترجمًا للمندوب السامي الفرنسي في سوريا وفلسطين بين عامي(١٩١٧–١٩١٩م)[٣]، وساهم في التخطيط للثورة العربية عام(١٩١٦م) حيث اتهمته مجلة جامعة الازهر (مجلة الاحزر) بالالتمام بالمساعي الاستعمارية في المنطقة ودخوله الركب كعميل في خدمة المصالح الفرنسية مع(لورانس العرب)[٤] ، وبالرغم من التنافس بين هاتين الشخصيتين، إلا أن الشعور بالخيانة من قبل الدول المنتصرة سيطر على كلاهما، حيث بين ماسينيون أسفهما تجاه العرب، وأنهما كانا يعتقدان أنهما عملا لتحقيق العدالة أو مملكة الله[٥].

وأبدى ماسينيون مساندته للحركة الصهيونية في بداياتها، ودعا للمصالحة بين العرب واسرائيل، فقال: **أرى أن على الأشقاء أن يجدوا سبيلا للمصالحة، إذ أن كلا الفريقين–إسرائيل والعرب– يملكان شهادة داخلية للإدلاء بها، أنها شهادة لغتهما التي هي لغة مقدسة، فضلًا عن أنها أداة بحث علمي مجرد، لقد كتبت النخبة اليهودية وفكرت باللغة العربية خلال العصور الوسطى بكاملها**[٦] . وهذا ما جعل البعض يصفه بالإمبريالية الاستشراقية، وخدمة المصالح الاستعمارية، والتبشير النصراني في الأراضي الإسلامية[٧].

---

(١)يُنظر: نذير حمدان، مستشرقون سياسيون ،١٩٤؛ الكيلاني: بمناسبة مرور مائة عام،١٩٢.

(٢)يُنظر: الربضي، لويس ماسينيون،١٩.

(٣)يُنظر: سليمان، موارد ارآء ماسينيون،٥٤–٥٥.

(٤) مستشرق وسياسي بريطاني ولد عام(١٨٨٨م)، وتلقى تعليمه في أكسفورد، ثم التحق بالجيش الملكي بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبلغ رتبة مقدم في الجيش، وعمل في سلاح الطيران الملكي، من أشهر مؤلفاته: أعمدة الحكمة السبعة، وثورة في الصحراء العربية، و القلاع الصليبية. يُنظر: لورنس، أعمدة الحكمة السبعة،٥.(المترجم)؛ يحيى مراد: معجم المستشرقين، ٦١٩ ، يُنظر : *Belames , t The writings of muhammad hamidullah in French trends and novelties Islamicus , Islamic Economics Institute , King Hamdard Islamicus , 67, Vol.XL, No.4 , Abdulaziz University , Jeddah, Saudi Arabia . , P . 71*

(5) *Krokus:Louis Massignon's influence on the teaching,P.47 .*

(٦)يُنظر: صالح الزهر، العسكرة الاستشراقية، ٥١.

(٧)يُنظر: فروخ، التبشير والاستعمار، ٨١ ، ٨٨؛ المقدادي: الاسلام وشبهات المستشرقين ،١٩٢.

فيما بعد تأثرت حياة ماسينيون بالتقلبات التي سادت حياته، والازدواجية الاعتقادية بين شعوره الديني وواجبه السياسي، إذ وقف لمناصرة الشعوب المستعمرة والمطالبة بحريتها، في شمال أفريقيا والجزائر مع استمراره في العمل السياسي[١]، وساهم مع الجزائريين في ثورتهم لتحرير الجزائر والمغرب، وبين عدائه للصهيونية، والنزعة المادية، التي تنادي بها من خلال مقالاته في الصحف الفرنسية وغيرها[٢]. وعبر عن تعاطفه مع القضية الفلسطينية، واللاجئين العرب، وإدانة الحركة الصهيونية بعد ازدياد الهجرات إلى فلسطين واضطهاد العرب فيها، ودعا إلى التعايش السلمي بين الديانات الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام)على أساس العدل، والمصالح المشتركة بين الشعوب، ومن خلال التواصل الثقافي والاجتماعي والإنساني[٣].

أنتخب ماسينيون عام(١٩٢٤م) عضوًا في الجمعية الآسيوية الملكية في لندن، وعضوًا في أكاديمية العلوم السوفيتية، وأُرسل في بعثة مرة أخرى إلى العراق وسوريا عام (١٩٢٨م)، حيث جدد زيارته لقبر(الحلاج) في بغداد، وفي عام(١٩٣٣م)، عُين عضوًا في مجمع(فؤاد الأول) للغة العربية في القاهرة، وشارك مع(ماري كحيل)[٤] في تأسيس جماعة(البدلية) عام(١٩٣٤م)[٥] التي سنأتي على الحديث عنها لاحقً،، كما عُين في عام(١٩٣٣م) مديرًا في أكاديمية القاهرة العربية حتى عام(١٩٦٠م)، وأنتخب رئيسًا لمعهد الدراسات الإيرانية في عام (١٩٤٧م)، وأسس في ذات السنة الجمعية الفرنسية الإسلامية[٦].

وفي كانون الثاني من عام(١٩٥٠م) نُصبَ بشكل رسمي بمنصب(كاهن كاثوليكي) في القاهرة، وانتقل بشكل قانوني إلى المذهب الملكي اليوناني الكاثوليكي، وبقى على دعمه لجماعة (البدلية) وماري كحيل، والمشاركة في الحوار عن طريق الصيام الخاص، والصلاة، والدعاء، والحج المشترك[٧].

وفي عام (١٩٥٢م) زارَ الولايات المتحدة الأمريكية، وألقى ثلاثين محاضرة فيها، كما قام عام(١٩٥٣م) بزيارة محج غاندي في مهرولي، وأسس جمعية فرنسا المغرب، وأنتخب عام(١٩٥٤م) رئيسًا للجنة الداعية للعفو

---

(١) يُنظر: العقيقي، المستشرقون، ١/ ٢٧٩.

(٢) يُنظر: الكيلاني، بمناسبة مرور مائة عام،١٩٥.

(٣) يُنظر: احمد عبد الحليم،الصوفي والسياسي صورة ماسينيون ،ضمن كتاب في قلب الشرق،٢٨٧.

(٤) ولدت عام(١٨٨٩م)لأب سوري مسيحي ثري وأم ألمانية، وكان لوالدها أراض زراعية كثيرة في مصر، وعمل لصالح الخديوي، فنشأت هي مع بعض الراهبات في القاهرة وبيروت، وسافرت إلى أوربا، وتعلمت عدة لغات، واستقرت في= =القاهرة، وشاركت بنشاطات نسوية ودينية متعددة، وأصبحت تلميذة لماسينيون في الحوار الإسلامي المسيحي، وتوفيت عام(١٩٧٩م). يُنظر: سوزان طه حسين: معك، هامش رقم(٢)، ٢٨٦- ٢٨٧.

(٥) الاصفر: لويس ماسينيون ماله وماعليه،١٨٦. للمزيد ينظر: فرانسو انجليه: الألم والبدلية والنذير المصادر الفكرية لويس ماسينيون ، ضمن كتاب في قلب الشرق، ٢٩-٤٥.

(٦) يُنظر: الربضي، لويس ماسينيون،٢٢-٢٣.

(3) *Borrmans:Islamochristia,p.3.*

عن السياسيين، وترأس رابطة أصدقاء غاندي، وشارك في مؤتمرات عدة بعد أحالته للتقاعد عام(١٩٥٤م)، كان آخرها المؤتمر الدولي العشرين للمستشرقين الذي أنعقد في موسكو[١].

بقي ماسينيون في بحث دائم عن المعرفة وعلى اهتمام متواصل بها حتى وفاته، ومن الجدير بالذكر أنه توفي بالتحديد الدقيق في ليلة(٣١ تشرين الأول/١٩٦٢م) إثر نوبة قلبية حادة، وصادفت وفاته ليلة(عيد جميع القديسين) أو(عيد الأموات)في المسيحية، والذي طالما رغب بالاتحاد معهم، أو الاجتماع بهم[٢].

ثانيًا- التكوين المعرفي والاتجاهات الروحية لماسينيون:

إلى جانب التعليم الأكاديمي الذي حصل عليه ماسينيون، وما يحملهُ من صورٍ مغايرة لحقيقة الشرق ودين الإسلام، كانت هناك جملة من المنعطفات التاريخية التي أثرت على أيدولوجيتهَ، وبناءه الروحي.

تأثرَ ماسينيون مُنذ بدايات حياته بتيارين مغايرين في البيئة الفكرية التي ولد فيها؛ من جانب والدته الكاثوليكية الورعة، التي كانت تؤدي صلواتها بشكل دائم للمسيح[٣]، ومن جانب والده(بيير روش)، الذي درس الطب وعلم التشريح، وتخصص بالرسم والنحت، وتأثر بالتراث القديم اليوناني والروماني[٤]، وعمل تحت اشراف الفنان الفرنسي المشهور (جان دالو)فكان علمانياً مادياً في الغالب، وقد أشار ماسينيون في إحدى رسائله للأب(أنستانس الكرملي)، أن والده قام بنحت نصفية الروائي الفرنسي(كارل ويسمان)[٥] ، رفيقة وصديقه المقرب[٦]، وأعد عام(١٨٩٠م) نصبًا يمثل الفروسية والشخصية المحاربة لتخليد القديسة الفرنسية(جان داراك)، التي أثرت بشكل كبير في المتخيل الروحاني لماسينيون، وقد قال عن ذلك: لقد علمني والدي أن أحب جان داراك[٧].

أثرت هذه العوامل في تكوين ماسينون المعرفي، وفي بناء عقليته التاريخية والثقافية، وذائقته الفنية، ونمو الروح الجمالية لديه، وهو ما قاده في النهاية للعناية بالشرق وتاريخ الإسلام وحضارته وثقافته، ولاسيما الجوانب

---

(١) يُنظر: الربضي، لويس ماسينيون، ٢٤

(٢) يُنظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ٥٤٣. *Borrmans:Islamochristiana,p.4.*

(٣) يُنظر: الكيلاني، بمناسبة مرور مائة عام، ١٩١.

(2)*Angelier : Écrits Memorables ,vole1,pp. XXX-1.*

(٥) أحد أهم الروائيين الفرنسيين في القرن التاسع عشر في الفكر الأدبي والجمالي لتيار الرواية الطبيعية والرمزية، ولد عام (١٨٤٨م) وكان ولد لأب هولندي وأم فرنسية، وتحول في أواخر حياته من البروتستانتية إلى الكاثوليكية، وركز في رواياته الأخيرة على جوانب العتمة في مصير شخصيات عليلة أو مرتكسة، يدفعها اعتلالها وهامشيتها المقصودة والتباس محيطها الاجتماعي إلى التركيز على الوجوه المظلمة من وجودها، وهو ما انتهى به على صعيد خياراته الخاصة وقلقه الفكري إلى أن يخوض في أواخر حياته تجربة التنسك والعزلة الإرادية، توفي ويسمان عام(١٩٠٧). يُنظر: ويسمانس، رواية المرفأ(مقدمة المراجع)، ٥- ٧

(٦) يُنظر: علي بدر، ماسينيون في بغداد، ٦٩.

(3) *Angelier :Écrits Memorables ,vole1,pp.I,Xxxll.*

الروحية فيها[١]، حتى قيل لقد فاقَ ماسينيون والده عبقرية ونبوغًا، وهو بلا شك أمر ورثه عنه[٢]. إلا أنه وجه اهتمامه صوب الشرق، وقال: **من الخطأ إهمال الحضارات الشرقية والإسلامية، والاهتمام فقط بالتراث اليوناني والروماني)**[٣].

فضلًا عن ذلك تأثرت رؤى ماسينيون وأفكاره بمرحلة الشباب بمجموعة من الأشخاص الذين ازدادوا باطراد مع تقدم حياته، ومن هؤلاء الذين كان لهم دور كبير في حياته، الكاتب الكاثوليكي(*Leon Bloy* =ليون بلوا)[٤]و ارتبط لاحقًا بصداقة عميقة مع(شارل دي فوكو)، والشاعر (بول كلوديل *Paul Claudel*=) [٥].والشاعر الفيلسوف الفرنسي(*Alphonse de Lamartine* ألفونسو دي لامارتين)[٦] فكانوا من الشخصيات التي أثرت ببحثه عن القضايا الجمالية في الشرق[٧] . وقد أشار ماسينيون لذلك أثناء كلمته التكريمية لـ(لامارتين) الذي تعود صداقته معه إلى وقت طويل حين لقائه به عام (١٩١٣م) فقال: **لطالما اجتمعت الكنيسة على مباركة نداء النفوس من أجل عودتي إلى الله، وهكذا بدأت بعض الولاءات في توجيه حياتي، ومنهم الحلاج، وويسمان ، الذي كنت أود ان أفتديه بنفسي، وفوكو، ولامارتين، وحضور مريم العذراء.** وسينظم لهم في تأمله الروحي المصير الغريب لفاطمة بنت محمد[٨] .

---

(١) يُنظر: بدوي، موسوعة، ٥٢٩.

(٢) يُنظر: علي بدر،ماسينيون في بغداد، ٦٩-٧٠؛ الربضي: لويس ماسينيون، ١١.

(6) *Angelier :Écrits Memorables ,vole,pp.I,XXlV.*

(٤) مؤلف وروائي فرنسي ولد عام (١٨٤٦م)، وكان كاثوليكيًا متحمسًا شديد التمسك بعقيدته، وعرف بميوله الصوفية والفلسفية والرغبة في الانتعاش الروحي من خلال المعاناة والفقر، توفي عام (١٩١٧م)، ومن اشهر مؤلفاته: الرجل اليائس، المرأة الفقيرة .للمزيد ينظر الموسوعة البريطانية :- . https://www.britannica.com/

(٥) شاعر وكاتب مسرحي فرنسي، ولد عام (١٨٦٨م) وانضم للسلك الدبلوماسي في الشرق والغرب، وكانت افكاره تتمحور حول الكون والوحي الشعري، تعرض لأزمة أخلاقية، وبالرغم من توبته إلا أن الذنب ظل يرافقه طيلة حياته، توفي عام (١٩٥٥م)، من مؤلفاته : بشارة مريم، والحذاء الحديدي، البداية في بحث الرجل عن الخلاص. للمزيد عنه ينظر الموسوعة البريطانية : https://www.britannica.com/

(٦) أديب وشاعر فرنسا الشهير ولد عام (١٧٩٠م)، ورحل الى الشرق عام (١٨٣٢م) فزار بلاد الشام، ورجع الى فرنسا ورشح للانتخابات البرلمانية وفاز بها عام (١٨٣٣م)، وفي عام (١٨٤٨م) أصبح رئيسا مؤقتا للجمهورية، ثم سقط أمام حزب المحافظين، فرجع لكتابة الشعر وألف عن فرنسا وثورتها، وألف كتاب تاريخ تركيا بثمانية أجزاء تحدث فيها عن الإسلام والنبي، توفي عام (١٨٦٩م). يُنظر: لامارتين، مختارات من كتاب رحلة الى الشرق،٨-١٠ (المترجم)؛ بيير جوردا: الرحلة الى الشرق ،٢٥-٥٥.

(٧) يُنظر: جورافيسكي، المسيحية والاسلامية ،١٠١-١٠٢.

(8) *Borrmans:Islamochristiana,p.1.*

وفيما يخص الروائي الفرنسي(كارل ويسمان) فإنه كان صديقًا مقربًا لوالده(بيير روش)، وقد أهتدى للمسيحية بعد معاناة روحية غامضة، وظل محافظًا على إيمانه الكاثوليكي حتى وفاته عام (١٩٠٧م)[١] . وذكر ماسينيون ذلك ، بقوله: **أن ويسمان كان يصلي من أجلي أنا الضائع، وأنه كان حاضرًا في ساعات احتضار أبيه الأخيرة وهو ينظر إليه ويدعو له، وأنه هو من أرسله بعد وفاة أبيه إلى(*Daniel fontaine* = دانيل فونتان) القس الرائع، وأن ويسمان هو الذي نقل إليه سر الحب** الأخوي **لرفاق العمل، والصلاة والدعاء من أجل الخاطئين لردهم إلى الايمان، وأنه نقل إليه هذا السر لينقله بدوره إلى الآخرين**[٢] .

أما(شارل دي فوكو)، فقد سمع ماسينيون به بعد عام(١٩٠٦م) أثناء تواجده في الجزائر، وكان قد أهتم بتاريخ الطوارق، وعاش حياة الرهبنة والزهد، فأُعجب به ماسينيون وبدأت بينهما مراسلات، ورابطة صداقة متينة [٣].وكان(فوكو) يبحث عن من يشاركه دعوته وافكاره، وكاد ماسينيون أن ينخرط في هذا الميدان، ويصبح تابعًا له في صحراء الجزائر، إلا أنه عدل عن ذلك بعد أن قرر الزواج ، وقد استمرت صداقته مع(دي فوكو)؛ ففي رسالته التي أرسلها إلى ماسينيون عام(١٩١٦م)، بارك فوكو له جهودهُ بالانخراط في جبهة الحرب الاستعمارية التي اعتبرها حربًا مقدسة، وبارك له شرف الاستشهاد والخطر والمعاناة في سبيلها؛ من أجل الاتحاد بالقربان المقدس حسب قوله، وكان يرغب بتحويل ماسينيون إلى الكاثوليكية إلا إنه قتل قبل ذلك[٤] .

وبالمقابل نذر ماسينيون حياته لفوكو(ناسك الصحراء)، وسعى إلى الكشف عن براءته من تهمة التجسس، وكان له دور كبير في إلهام (رينيه بازان) في نشر سيرة(شارل دي فوكو)[٥]. كما وقد عدَّه ماسينيون(متأملًا كاثوليكيًا)، عامل الآخرين على كونهم يعتنقون نسخة أخرى من دينه ، وعندما قتل ألفت قصيدة بحقه، تلخص مشاعره تجاهه، ومنها قوله:

عزاء طلبتهُ في ألمي، فأصبح ألمي هذا العزاء

دليل أبحث عنه من أجل صلاتي، فأصبحت صلاتي هذا الدليل

إلى اليمين واليسار أبحث عن صديقي

لكني كنت أبحث في الخارج وهو في روحي[٦]

ويمكن أن نضع في مقدمة قائمة الشخصيات التي تأثر فيها ماسينيون ، وغيرت مجرى حياته شخصية(الحسين بن منصور الحلاج)؛ إذ مثل هذا الصوفي المصلوب نقلة روحية جذرية في حياة ماسينيون،

---

(١) يُنظر: الربضي، لويس ماسينيون، ١٣.

(٢) جان موريون : لويس ماسينيون ، ١٥.

(5) *louis Massignon : Parole donnee ,pp64-65.*

(٤) يُنظر: علي بدر، ماسينيون في بغداد، ٧٧-٧٨.

(5) *Borrmans:Islamochristiana,p.2.*

(6) *Hossein Nasir:Traditional Islam,p.258.*

بعد أن تعرف عليه عام (١٩٠٨م)، وقد قرأ حياته بداية في أشعار(فريد الدين العطار) الشاعر الصوفي الفارسي، الذي أرخ بشعره لحياة الحلاج ومصرعه وأفكاره، فألهم ماسينيون أن يكرس جهوده للبحث عن الحلاج واكتشافه[١]. وقد أبدى ماسينيون ولعه بالجملة الفارسية للعطار:(**يكفي سجدتان في الحب، عند الفجر وفي الحرب)** فقال: **لقد وقعت في حب الحلاج من الخيال الأدبي،** وقرر أن يُعِدّ اطروحته للدكتوراه عنه[٢].

وعند زيارته للعراق تعرض ماسينيون إلى مصاعب جمة، ومنها اتهامه بالتجسس على الوالي العثماني، واصابته بالملاريا، فتولدت لديه صدمة روحية، وبعدها تحولت إلى لهيب للإيمان، وتوجهًا للصوفية، ونذر روحه للحلاج[٣]. وقد أشار لذلك في مذكراته بأن قد : **راودته حالة من التأمل المفاجئ، أمام النار الداخلية التي تحاكمه وتحرق فؤاده، والشعور بالخطيئة، إذ استحضرته روحياَ وهو يصلي أولى صلاته بالعربية شخوص ملهميه، أمثال ويسمان ، وفوكو، ووالدته، والحلاج، الذي مات من أجل الحب الخالص لله،** فنذرَ حياته حينها للحلاج[٤].

وفي أُخريات سني حياته وجد ماسنينون في شخصية(غاندي) تمثلًا لأفكاره، كما(الحلاج) في مسيحانيته؛ إذ أُعجب بالنزاع السلمي للمهامتا غاندي، وبذلك أكتمل الثالوث الروحي الأبرز في شخصية ماسينيون (فوكو، والحلاج، وغاندي)[٥]، فقد رأى في صورة غاندي الذي سمع عنه عام(١٩٤٨م)، وعرف زهده وتقشفه وملابسه البسيطة، ورأسه المكشوف، وقدماه الحافيتين، بأنه كان أشبه برسول ينذر باللاعنف، ولاسيما أنه قد قتل على يد هندوسي غاضب، فرأى ماسينيون أنه قدم روحه فداء للحق[٦].

---

(١) يُنظر: بدوي، موسوعة، ٥٣٠-٥٣١.

(2) *Angelier :Écrits Memorables ,vole1,pp.I,Xl .*

(٣) يُنظر: موريون ، لويس ماسينيون ، ١٨-١٩.

(4). *Massignon :Parole donnee ,p.67 .*

(٥) يُنظر: علي بدر، ماسينيون في بغداد ، ٧٧.

(1) *Massignon :Parole donnee, p.130.*

ثالثاَ-ماسينيون واهتمامه بالتصوف الإسلامي:

شكلت الصوفية كنزعة روحي -دينية نسقًا عامًا منذ فترات مبكرة في تاريخ الديانات، سواء أكانت ديانات سماوية أو وضعية، إذ استقطبت الصوفية بميلها الروحي وممارساتها الزهدية الجذابة العديد من الأتباع والمريدين، الذين انتفضوا على النزوع البشري المادي على أنها ارتدت في العديد من مراحلها واشكالها ثوب المغالاة الدينية ونزعت لأن تكون غنوصًا دينيًا متطرفًا في أحيان اخرى.

لقد تماشت الروح الصوفية مع الامتداد التاريخي للديانة اليهودية وتخللت في أعماقها منذ البواكير الأولى لها، وتسلل بعضها اليها من عوامل خارجية بعد مجاورة اليهود في منفاهم للفرس والبابليين، ووصوله إلى كبار رجالاتهم من العارفين بالطب والكيمياء والسحر والشعوذة، وأسبغ على التصوف اليهودي تسمية(القبالا أو الكبالا)التي راجت في أغلب أنحاء العالم، وأدعت الخلاص الدنيوي، كما وقد روجت إلى كون العقيدة اليهودية هي الحق على ما سواها، وقامت هذه القبالا على ممارسات روحية تقوم على الحدس والتأمل والكشف والرياضة الباطنية[١] ، كما ارتكزت على فكرة الحلول بكون أن الإله أو الخالق هو مخلوقاته والعكس والذي أصطلح على تسميته في عقيدتهم(ديفيفوت) أي التوحد مع الإله[٢]وكانت هذه النزعة حاضرة ايضًا في الديانة المسيحية التي عدت امتدادًا سماويًا للديانة اليهودية، وفرضت هذه النزعة الروحية هيمنتها على منذ بواكيرها الأولى عبر الرهبنة والممارسات العبادية الأخرى، مسندة ذلك إلى المسيح[×]نفسه[٣] فارتبطت المسيحية بشكل عفوي ومباشر بحياة الرهبنة التي يمارسها رجل الدين المسيحي أو النصرانية أو الأفراد المسيحيين العاديين عبر التعاليم التي يجدونها مبثوثة في الكتاب المقدس [٤]؛ لذا لا عجب من ان يبُدي المستشرقون اهتمامهم بالتصوف الإسلامي الذي يقارب ممارسات عقدية سابقة لديهم، في حقب هيمنت عليها الروح الاستعمارية، والوجهات التبشيرية وإبرازها على أنها دخيل على الديانة الإسلامية من المسيحية، خصوصًا مع اضمحلالها في الغرب لصالح انتشار النزعة المادية العلمانية؛ ولذا نُقل عن أحد المستشرقين بأنه وجد خلاصه الروحي ونجاته من المادية الاوربية في التصوف الإسلامي [٥] فأستحوذت هذه الموضوعة على اهتمام كبار مستشرقيهم وبمختلف ميادين علومهم كعلم الأديان، وعلم الاجتماع، وعلم النفس وطبقت عليه المناهج العلمية المختلفة[٦] ومن المسلمات المعروفة بما متفق عليه أن هذا التوجه برز لديهم في القرن الـ(١٩م)ومثلته كوكبة من كبار

(١) يُنظر:علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،١/١٨٦-١٨٧.
(٢) يُنظر:ليندا بوعافية،التجربة الصوفية في الأديان وأشكالات التأثر والتأثير(بحث منشور في مجلة الحكمة للدراسات الأجتماعية، المجلد٧، العدد١لعام١٤٤١هـ/٢٠١٩م)،٢٤٢-٢٤٣.
(٣) يُنظر: علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي،١/١٨٨ -١٨٩.
(٤) يُنظر: اميل برهييه، تاريخ الفلسفة،٣ /٧٣-٧٥.
(٥) يُنظر الحسيني معدي،موسوعة الصوفية،١٠٠٥-١٠٠٦.
(٦) يُنظر آن ماري شميل، ألابعاد الصوفية في الإسلام،٢١.(المترجم).

المدارس الاستشراقية المختلفة؛ مما ساهم في اظهار الكتابات الصوفية التي كان يُنظر على أنها مستهجنة وحظيت باهتمامات العلماء من كُتاب ومحققين ودبجت عنها العديد من الكتب والدراسات وحققت العديد من المخطوطات المتنوعة عن التصوف وشخوصه[١] . أما عن كيفية وصول التصوف الإسلامي للغرب فعلى الأرجح أنه كان عبر الأدب الفارسي وعن طريقه وبالأخص ما عرف عنهم من الشعر الصوفي فلقد نقل عن احد المستشرقين بأن الشعر الفارسي الصوفي صار بمثابة الموضة في فرنسا وأثر على شخصيات علمائها وبالأخص المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي الذي نشر ترجمة لأشعار فريد الدين العطار الشاعر الصوفي عام(١٨١٩م)ومن ثم انطلقت اهتمامات الآخرين في الشعر الصوفي الفارسي تحقيقًا ونشرًا[٢].

فكانت المدارس الاستشراقية بين التجاذب والتنافر في البحث عن اصول التصوف ومدى تأثره بالديانات السماوية السابقة والعقائد الوضعية وعلى وجه الخصوص المدرسة الفرنسية التي ابدت ولعًا في دراسة التصوف الإسلامي منطلقة في تفسيراتها الروحية المسيحية من منظور أن التصوف الامتداد الفعلي لها في العالم الإسلامي، كما فعل ماسينيون وبكل جهده في انتقاء ما يخدم هذا الهدف ونبذ خلافة مدفوعا لعقيدته المسيحية في اظهار الحلاج على دين وشاكلة المسيح المصلوب[٣].

بمعنى مقارب دفع الهاجس الديني المتجذر لدى ماسينيون ولازمهُ طيلة حياتهِ ، وبوحي من الشخصيات التي تعرف عليها في حياته إلى دراسة الجوانب الروحية في الإسلام، ولا سيما في ميدان التصوف، وقد أحدثت دراساته تغييرات جوهرية في علم الإسلاميات الاستشراقي، وخصوصًا مع ابتعاده عن التفسير التقليدي للعقيدة الإسلامية، الذي يقوم في أغلب الدراسات السابقة على أساس الانطلاق من التفوق العرقي، والأفضلية الدينية والأخلاقية. وفي رأي الباحثين ودارسي الاستشراق، فإن مؤلفات ماسينيون واسهاماته العلمية، ومنطلقاته الروحية، ونشاطاته السياسية، قد مهدت الطريق للتحول المسيحي الجذري بشأن الموقف من الإسلام؛ ففي مجهوده العلمي الكبير، تتجلى بشكل واضح سمات العالم الواسع الاطلاع، والمعارف العميقة المتنوعة، وهي تمتزج مع مشاعر نسكية– رومانسية دينية[٤].

انشغل ماسينيون رجل الدين الكاثوليكي والمتصوف، بالبحث الدؤوب عن النقاط المشتركة بين المسيحية والإسلام، أو نقاط(الاتصال والارتباط)، في الطقوس، والشعائر، والأدعية، والممارسات العبادية، ولا سيما لدى المتصوفة وفرق الغلاة؛ لتأكيد أصالة العقيدة المسيحية في عمق الإسلام، وهو بذلك عمل على دراسة التصوف بما يرضي نزعته الصوفية، ورغبته الدينية كونه رجل دين مسيحي كاثوليكي يؤمن بعذابات المسيح؛ فوجد في التصوف والحلاج الوسيلة في إبراز ذلك[٥]، ومن جانب آخر فإن اعجابه بشخصية(الحلاج) قد هيمن عليه

(١) يُنظر: الشرقاوي، المستشرقون ونشأة التصوف الإسلامي،١٦٣.
(٢) يُنظر: الشرقاوي، المستشرقون ونشأة التصوف الإسلامي،١٥.
(٣) يُنظر: علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي،٣/٢٩.
(٤)يُنظر: جوارافسكي، الإسلام والمسيحية، ١٠١، ١٠٤.
(٥) يُنظر: الاصفر، ماسينيون ماله وماعليه،١٨٨-١٩١.

بشكل كامل، حتى أنه كان يعدَّه النموذج الذي يستوجب المحاكاة، وقال بالنصّ: (**لقد حاولت أن اتبع مثاله ليس أكثر**) [١]. وقد كان الاعتقاد الدائم لدى ماسينيون هو أن التصوف هو أساس التدين الأول، وعليه بنُيّت الديانات الأخرى، فهو الطريقة الفطرية الأسمى في التواصل بين الأنسان والذات الإلهية، حيث يرتقي الأنسان من خلالها إلى القداسة النورانية، التي تصل أسمى غاياتها في عقيدة المسيح التضحية والفداء[٢].

وبسبب اهتمامه الملحوظ بالتصوف، وتأثره به، وبشخصياته الصوفية المميزة، عُدَّ ماسينيون أول مستشرق أعاد التصوف الإسلامي وجذوره إلى قلب القرآن وروحانيته، من خلال دراسته لتاريخه الاصطلاحي والروحي، الذي أعطى له الريادة في علم التصوف الإسلامي[٣]. وكان الزهد والميل إلى الروحانيات قد اجتذب ماسينيون منذ بدايات حياته، وتبلور هذا الأمر بعد معرفة ماسينيون للحلاج وولعه الروحي به؛ لما وجد فيه من جسر روحي بين الديانتين الإسلامية والمسيحية وتكريسها لمبدأ حوار الأديان، خصوصًا وأنه من الشخصيات القلائل التي ساعدت بفاعلية كبرى في النضال لإقامة السلام والصداقة والتعاون بين أناس ينتمون إلى أعراق، وأمم، وعقائد مختلفة[٤].

وعلى الرغم من أن ماسينيون لم يقف في دراسته للتصوف عند الحلاج، فحسب بل تعداه إلى دراسة شخصيات أخرى، فلسفية وصوفية، أمثال: أبي العلاء المعري، وابن سينا، والفارابي، وابن عربي، وغيرهم، ودرس المتنبي وآثاره[٥]؛ إلا أنه من أكبر الأعمال الموسوعية، التي اخذت صدى واسع، هو عمله عن الحلاج (شهيد الحقيقة)، كما أصطلح علي تسميته، وإعادة تشكيل النظرة للتصوف بمنظور الاستشراق الجديد عبر(تصوف الحلاج)، فهيمنت طروحاته العلمية على مجمل الدراسات السابقة واللاحقة في هذا المجال[٦].

تطرق ماسينيون إلى الحلاج بكل تفصيلاته(حياته، وأفكاره، وآثاره، وقصائده ونصوصه الصوفية، وعذاباته النفسية، والآمه...)، وكان يرى أن موت الحلاج(قتله)كان بمثابة موت للتصوف الإسلامي[٧]، وقد استهوته لحد بعيد مقولة الحلاج (أنا الحق)، وشكلت وتيرة روحانية متصاعدة في حياته الشخصية، وناقشها بكل تفاصيلها بالنقد والتحليل[٨]. وقد تعددت أعمال ماسينيون عن الحلاج والتصوف، ومنها: اطروحته للدكتوراه(آلام الحلاج)، و (مذهب الحلاجية)، و(الحلاج والشيطان في نظر الزيدية)، و(ديوان الحلاج)، و(المنحنى

(١) يُنظر: جوارفسكي، الإسلام والمسيحية،١٠٤.
(٢) يُنظر:الشرقاوي، لويس ماسينيون والعولمة الروحية(بحث منشور في حوليات آداب عين الشمس، العدد ٣٤ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ٣٨٣-٣٨٤.
(٣) ينظر :ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق: التصوف،١٩٨٤م.
(٤) يُنظر: جورافسكي، الإسلام والمسيحية،١٠٥.
(٥)يُنظر:الكيلاني، بمناسبة مرور مائة عام،١٩٤.
(٦)يُنظر: قاسم محمد، الحلاج الاعمال الكامله،١٤-١٥
(٧)يُنظر:صابرعبده، قراءه نقديه ،٣٩٧.
(٨) للمزيد ينظر: لويس ماسينيون، الآم الحلاج،١٤٢-١٤٣.

الشخصي لحياة الحلاج)، و(الفلسفة وما وراء الطبيعة في التصوف الحلاجي)، أضافة لعدة مباحث أخرى[١]، وأهتم بجمع الرسوم التاريخية التي عبرت عنه، وكيفية صلبه كالسيد المسيح، فجمع منها(١٩ رسمًا)، يتفاوت تاريخها بين القرنين السادس عشر والثامن عشر للميلاد [٢].

وكان خلال تواجده في العراق يرتاد قبر الحلاج باستمرار، ومارس ضغطًا على السلطات العراقية لبناء غرفة صغيرة حول قبرة، وإيقاف التوسع الحظري على حساب مقبرته[٣]، ودعا العولمة الروحية والتواصل بين الأديان، وحل الخلافات السياسية والأزمة الإنسانية المعاصرة ؛ لبناء عالم روحي يقوم على مبدأ السلام بين الشعوب[٤]. وكيف كان الأمر فإنه نقل في دراساته أشخاصًا مهمشين في التراث الإسلامي إلى مركزية التأريخ؛ لتمكنه من البحث عن مصادر متنوعة ومختلفة، ولقدرته المنهجية في صياغة التفاصيل الدقيقة والصغيرة، وجعل القارئ أمام تاريخ موسوعي كامل ذي نمط غير تقليدي[٥].

وقد ساهمت الضيافة التي حظى بها ماسينيون في بغداد من(الآلوسيين) في توجيهه لحوار الأديان؛ لما كان لهذه العائلة من دور كبير في اطلاق سراحه من العثمانيين، ومداراتهم له خلال اصابته بداء الملاريا ، كما ساهمت هذه الضيافة العربية في تغيير نظرته للعرب إلى الود والحب والاحترام[٦]. وهذا ما بينه في إحدى مقالاته عن(محمود شكري الآلوسي) والقاضي(علي نعمان الآلوسي) تحت عنوان (الأساتذة الذين وجهوا حياتي)، ومما قاله فيها: **أيقنت أني لن أتوصل إلى شيء هنا وحدي؛ لاعتبار الأجنبي عدو عادة، فهو إما جاسوس، أو تاجر، ولم يكن لي أمل للتقرب من المسلمين والألفة معهم؛ لذلك ذهبت إليهم واستجرت بهم فأجاروني؛ لأن هناك شيء في حياة الناس وفي أخلاقهم اسمه(الضيافة)**[٧]. وكانا قد منحاه خاتمًا نقش عليه اسمه بلفظ(محمد عبده ماسينيون) تختم به لنهايته حياته[٨]، وساعداه في توفير سكن له في بغداد في حي(حيدر خانه)؛ ليطلع على كثب على أخلاق العرب المسلمين وعلاقتهم مع الآخر[٩].

ولذلك تركزت كتابات ماسينيون على إبراز نقاط الالتقاء والتواصل في العلاقة بين المسيحية والإسلام [١٠]، فساهم بشكل كبير بغرس بذرة مبدأ حوار الأديان، وأحدث تغييرات جوهرية في إعادة صياغة العلاقة بينهما

---

(١)يُنظر:عبد الرزاق، قراءة التصوف الاسلامي ،٧١.

(٢)يُنظر:الشيبي، ماسينيون والحلاج ، ضمن كتاب في قلب الشرق ،١٠٩.

(2) *Hossein Nasir:Traditional Islam,p.259.*

(٤)يُنظر: الربضي، لويس ماسينيون،٥٢-٥٣.

(٥)يُنظر:علي بدر، ماسينيون في بغداد ،٢٦.

(٦)يُنظر:ساسي، نقد الخطاب ،٢٠٦.

(6) *Massignon: Les maîtres qui ont guidé mavie ,p.158.*

(٨)يُنظر: ساسي ، نقد الخطاب ي،٢٠٧.

(٩)يُنظر: عامر ، ماسينيون المستشرق ،٣٥٥.

(3) *Nasir:Traditional Islam,p.263.*

على أساس الاحترام للآخر، مبينًا أن التبشير والدعوة ليست أسلوبًا للحوار، وأن الشك الذي سار عليه لامنس ليس الطريق الأمثل لمقاربة الإسلام[١]، وأنه لابد من صنع السلام في العلاقات مع المسلمين[٢]، والعمل على التقريب بين الديانتين على أساس الدعوة للتعايش السلمي بينهما[٣] .

وكان من بين اجراءاته العملية في هذا الميدان أنه طلب من المجمع الكنسي الاعتراف الجزئي بنبوة النبي محمد[ا]، وصدق ألوهية القرآن، كما أعترف الإسلام بشكل جزئي بعيسى المسيح، فعدَّه نبيًا ولكنه أنكر إلوهيته[٤].

وقد جعل من الحلاج خطًا للشروع في هذا الحوار، إذ قال في ختام بحثه عن منحنى حياته: **رأينا أن موت الحلاج يُثبت عند كثير من المسلمين المتفاوتين في النزعة الصوفية، أنه لابد من التألم من أجل الخلاص، وأن الصليب فداء وقداسة، ومنحنى حياة الحلاج كلها، ومناظر محاكمته تجعل منه شبيهًا بالمسيح ظاهريًا، لكن هذا الشبه الخارجي لا يساوي شيئًا أمام التحول الصامت لقلبه، وإيمانه المتزايد بالمبادلة مع عشقه الأول، بين حق الله في عبادتنا المفروضة، وبين حقه عند الله للشفاعة بما يمنحه للناسوت منذ زمن حكم الملائكة**[٥] .

وقال في نص آخر استذكر فيه شفاعة الحلاج له في ازمته الروحية: **ذلك الغريب الذي زارني ذات مساء من آيار أمام الطاق على دجلة، في زنزانتي ويداي موثقتان بالحبال بعد أن حاولت الهروب مرتين، دخل عليّ الغريب والأبواب كلها موصدة، فأشعل نارًا في قلبي، وانتشلني من هوة اليأس كما تلمع سمكة ناشبه من أعماق المياه المظلمة نحو السطح**[٦] ؛ ولذا نجده في آخر لحظات حياته يردد ما ردده الحلاج قبل موته[٧] . وهذا ما حدا بالبعض إلى القول: **إنه لمن الصعب وضع حد فاصل بين دقته العلمية وتوجهاته الشخصية، وحماسته المتطرفة؛ إذ عمل على رفع الحلاج إلى حد نصرنته**[٨]. وذهب مؤرخ حركة الاستشراق الباحث والناقد الفلسطيني(إدوارد سعيد)إلى أن ماسينيون ربما يكون أشهر المستشرقين الفرنسيين المحدثين وأبعدهم تأثيرًا، ولكنه مارس دورًا سياسيًا داعمًا للاستعمار والهيمنة الغربية في الشرق، وهو يرى أن الإسلام كان يمثل رفضًا منهجيًا لمذهب التجسد المسيحي، وأن أعظم أبطاله لم يكن محمد أو ابن رشد، بل الحلاج(القديس) المسلم، الذي صلبه

---

(١)يُنظر: محمد الصغير، اخلاقيات الضيافة وحوار الاديان،ضمن كتاب في قلب الشرق، ٢٢٦-٢٢٧.

(5) *Thomas:Francis of Assisi Louis Massignon,Pp.2-3.*

(٣) يُنظر: الشرقاوي، ماسينيون والعولمة، ٢٥٧-٣٥٨.

(٤)يُنظر: جورافيسكي، الاسلام والمسيحية ،١٠٨.

(٥) يُنظر: رياض بن يوسف، التأويل المسيحي للإسلام لوي ماسينيون عينة (بحث منشور في مجلة منتدى الأستاذ، المجلد١٤، العدد٢لعام١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) ،، ٣٦.

(٦) يُنظر: عامر، ماسينيون الأنسان، ٣٥٥-٣٥٤.

(٧) يُنظر: الشرقاوي، ماسينيون والعولمة، ٨٣.

(٨)يُنظر: الاصفر، ماسينيون ماله وما عليه، ١٩٣.

أصحاب لمذهب(المعتمد)من المسلمين؛ لأنه تجاسر على أن يصبغ الإسلام بصبغة شخصية [١]. وسلط(سعيد) المزيد من الضوء على شخصية ماسينيون ودراساته في كتابه(العالم والنص والناقد)الذي صدر عام(١٩٨٣م)[٢].

وهو مع ذلك قد أبدى اعجابه بماسينيون فقال: **إن ما أريد بيانه هو أن رينان وماسينون كانا جزأ لا يتجزأ من الثقافة الفرنسية، كلٌ في حقبته؛ كي يخلعا على عملهما عن الإسلام، منزلة وسلطة بالنسبة للجمهور الثقافي غير الاستشراقي**[٣]. وأشار إلى **أن المهمة الفيلولوجية الكامنة في صميم الثقافة الفرنسية تتعرض للتحول التام على يدي ماسينيون، فنحن نتعامل مع عقل ذي شأن من نوع أخر، ومع خبره عميقة ورائعة، حتى أن تماثلاتها ودعاماتها الثقافية الجليلة ماهي إلا جمالية وسيكولوجية**[٤].

وأشار (باتريك لود) إلى أن ماسينيون يمثل حالة مغايرة للاستشراق، نتيجة تداخل الرؤى والأفكار وأبعادها في أعماله، ولأنه أبدى في معظم الأحيان تعاطفًا فكريًا وأخلاقيًا مع العالم الإسلامي، وأظهر نشاطًا ملحوظًا لدعم حقوق وكرامة مسلمي شمال أفريقيا القابعين في ظل الحكم الفرنسي، وساهم في الاحتجاجات الشعبية المطالبة بالتحرر، وكان له دور فاعل في قضايا دينية واجتماعية أخرى[٥].

الخاتمة

تميز ماسينيون بمعرفته المعمقة للجوانب الروحية في الإسلام، من خلال اطلاعه الواسع، وتدريسه في الأزهر وغيره، ومعايشته للمسلمين ومشاركتهم في طقوسهم وممارساتهم الدينية للشطر الأكبر من حياته، ولا سيما اهتمامه الروحي المتواصل بالتصوف وشخوصه، فامتلك قدرة كبيرة على التنقيب في الموروث الإسلامي، حتى غدى صاحب منهج استشراقي يحتذى في المدارس الاستشراقية الأخرى؛ لما أحدثه من تغيير جوهري في ميدان الدراسات الروحية في الإسلام، وحتى وسمه البعض بـ (النبي القديس). ولكنه مع ذلك كله- كغيره من المستشرقين والباحثين- لم يستطع التخلص من أيدولوجيته الدينية بشكل مطلق. كانت اللغة التي اعتمدها ماسينيون لغة مليئة بالتشفيرات والرموز الصوفية، وتحمل معاني مغايرة لظواهرها، وبدا عليها الطابع الفلسفي وعمق الطرح واضحًا، حتى يصعب معها في بعض الأحيان فهم مقصودة الدقيق في العبارات والمفاهيم التي يطرحها، لاسيما مع استخدامه للغة

---

(١) يُنظر: الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق،١٨٥.

(٢) خصه بفصل كامل بعنوان(الإسلام و الفيلولوجيا والثقافة الفرنسية- رينان وماسينيون)،٣٢٧- ٣٥١.

(٣) العالم والناقد النص ،٣٣٣-٣٣٤.

(٤) العالم والناقد النص ،٣٤٣.

(3) *Laude: The Orient Without Orientalism The WeI International Academic Conference Proceedings , Bali , Indonesia ,2014,p.77.*

الترميز، وحساب الجمل، وميله للصياغات الأدبية والنثرية العالية، وبالتالي كان من الصعب جدًا التعامل معها، والبحث عن تأويلاته ومقاصده.

قائمة المصادر

اولاً – المراجع العربية :

بدر : علي .

– ماسينيون في بغداد : رسائل المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون إلى الأب أنستاس ماري الكرملي ١٩٠٨–١٩١٩. (ط ١ ، دار الجمل : كولونيا . ألمانيا ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).

بدوي : عبد الرحمن .

– مذاهب الإسلاميين (دار العلم للملايين : بيروت . لبنان ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) .

– موسوعة المستشرقين(ط ٣ ، دار العلم للملايين : بيروت – لبنان ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م).

الحنفي : عبد المنعم .

– موسوعة الفلسفة والفلاسفة جماع المذاهب والأنساق والمدارس المختلفة في الفلسفة، وفي نظرياتها في الشرق والغرب، وعند فلاسفة اليهودية والنصرانية والإسلام، فلاسفة العربية، والفلاسفة المصريين (ط٢ ، مكتبة مدبولي القاهرة – مصر ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م).

الخالدي : مصطفى وعمر فروخ .

– التبشير والاستعمار (ط ١ ، المكتبة العصرية : بيروت . لبنان ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م).

الربضي : ايلي .

– لويس ماسينيون (ط١ ، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء– المغرب١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) .

سالم الحاج : ساسي .

– نقد الخطاب الاستشراقي – الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية (ط ١ ، دار المدار الإسلامي : بيروت . لبنان ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م).

سعيد : ادوارد .

– العالم والنص والناقد (د ، ط ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق – سوريا ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)

عبد الباقر: طه .

الحسين بن منصور الحلاج شهيد التصوف الإسلامي(د. ط، مؤسسة هنداوي: القاهرة–مصر ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

العقيقي : نجيب .

المستشرقون (ط ٤ ، دار المعارف : القاهرة – مصر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م).

مراد : يحيى .

معجم اسماء المستشرقين (ط ١ ، دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م).

المقدادي : فؤاد كاظم .

– الإسلام وشبهات المستشرقين (ط ١ ، المجمع العالمي لأهل البيت السلام قم . إيران ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م) .

النشار: علي سامي .

– نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (ط٨، دار المعارف: القاهرة– مصر، د.ت).

ثالثاً – الكتب المعربة

برهييه: أميل.

– تاريخ الفلسفة.ترجمة: جورج طرابيشي(ط١،دار الطليعة للطباعة والنشر:بيروت–لبنان ١٤–٣هـ/١٩٨٣م).

جورافسكي : أليسكي .

– الإسلام والمسيحية . ترجمة : محمد خلف الجراد ، مراجعة : محمود حمدي زقزوق (ط ١ ، عالم المعرفة : الكويت ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م).

جوردا : بيير.

– الرحلة إلى الشرق : رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر . ترجمة وتقديم : مي عبد الكريم وعلي بدر (ط ١، دار الأهالي : دمشق – سوريا ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م).

سعيد : إدوارد .

– الاستشراق : المفاهيم الغربية للشرق . ترجمة : محمد عناني (ط ٢ ، دار رؤية : القاهرة – مصر ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م) .

– تعقيبات على الاستشراق . ترجمة : صبحي حديدي (ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر : بيروت . لبنان ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م).

– العالم والنص والناقد . تح :عبد الكريم محفوظ(د. ط ، اتحاد الكتاب العرب: دمشق–سوريا١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)

لامارتين : ألفونسو دي .

– مختارات من كتاب رحلة إلى الشرق . ترجمة : جمال شحيد وماري طوق ، مراجعة : علي عقلة وإلهام كلاب (ط ١ ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري : الكويت ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م).

لورانس : توماس إدوارد .

– أعمدة الحكمة السبعة . ترجمة : محمد نجار (ط ١ ، دار الأهلية : عمان – الأردن ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).

ماسينيون : لويس .

– آلام الحلاج . ترجمة : الحسين حلاج (ط ١ ، شركة قدمس : بيروت – لبنان ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م .

ثالثاً – البحوث والمقالات :

الأصفر : عبدالرزاق .

ماسينيون ما له وما عليه (بحث منشور في مجلة التراث العربي ، المجلد٢١ ، العدد٨٣-٨٤ لعام١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) .

تابليت : علي .

لويس حياته واعماله(مقال منشور في مجلة اللغة و الادب ،العدد٩، لعام١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

بو جناح : دليلة .

الاستشراق والاختراق الثقافي العالم الإسلامي خلال القرى ١٩م. بحث منشور في مجله حوليات التاريخ والجغرافية الصادرة من: فخبر التاريخ والحضارة الجغرافية بالمدرسة العليا للأساتذة (العدد ١٢ / ١٤٢٨هـ بوزيعة – الجزائر ٢٠١٧ م).

جوهري : مارية .

الاستشراق الفرنسي والارث الثقافي الكولونيالي : بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية الصادرة عن: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ، كربلاء – العراق (العدد ٢١ ، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)

زهر الدين : صالح .

العسكرة الاستشراقية وانعكاساتها السلوكية على العرب والمسلمين، بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية الصادرة عن :المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية بالعراق (مج ٥ ، عدد ١٩ ، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م).

سبح : حسني .

خواطر وسوانح وعبر في إحياء ذكرى مستشرق ، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق(مج٥٩، العدد٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) .

الشرقاوي : عفت .

لويس ماسينيون والعولمة الروحية، بحث منشور في حوليات آداب عين الشمس الصادرة من كلية الاداب جامعة عين شمس (العدد ٣٤ ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م) .

بن صحراوي : كمال .

حركة التنصير في الجنوب الجزائري جهود شارل دو فوكو أنموذجً(بحث منشور في مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية– الجزائر، المجلد ٣، العدد ١، لعام١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

بو عافية: ليندا .

التجربة الصوفية في الأديان وأشكالات التأثر و التأثير(بحث منشور في مجلة الحكمة للدراسات الأستشراقية، المجلد٧، العدد١،لعام١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)،

عامر : اديب .

ماسينيون المستشرق الإنسان للبحث في مجلة الإنماء العربي للعلوم الانسانية الصادرة عن : معهد الانماء العربي – بيروت (العدد 32 / السنة الخامسه ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م).

عطية : احمد عبد الحليم .

الصوفي والسياسي ماسينيون في الفكر العربي المعاصر بحث منشور في مجلة مدارات الصادرة عن جمعية مدارات معرفية (العدد ١٤ ، ١٣ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م).

الصوفي والسياسي صورة ماسينيون في الفكر العربي المعاصر. بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية الصادرة عن : المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية كربلاء – العراق (العدد ٢٢ ، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م).

الكيلاني: فخري .

بمناسبة مرور مائة عام على ولادة المستشرق العالم لويس ماسينيون ، بحث منشور في مجلة الموقف الأدبي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب في سوريا (العدد ١٥٥، ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م).

بن يوسف : رياض .

التأويل المسيحي للإسلام. لويس ماسينيون عينه. بحث منشور في مجلة منتدى الاستاذ الصادرة عن : المدرسة العليا للاساتذه : قسنطيه – الجزائر) العدد ٢، السنة ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).

ثالثاً– الرسائل والأطاريح الجامعية :

سليمان : سربي .

موارد اراء المستشرق لويس ماسينيون من كتب الشيعه وتفنيدها دراسه وصفيه تحليليه نقديه ، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت الى مجلس كليه الدعوة واصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٤٣٦هـ / ٢٠١٥ م) .

رابعاً – الكتب الاجنبية :

–Angelie:et d'autres

Louis Massignon Écrits Memorables,paris,2009.

–Massignon: Louis

Parole donnee

Lntroduction de Vincent monteil

paris1962.

***Nasr : Hossein** . Traditional Islam in the Modern World , London,1987 .*

***Laude: Patrick** . The Orient Without Orientalism The Wel International Academic Conference Proceedings , Bali , Indonesia ,2014.*

خامساً – البحوث اجنبية

-***Belabes :Abderrazak*** . *The writings of muhammad hamidullah in French trends and novelties Islamicus , Islamic Economics Institute , King Hamdard Islamicus , 67, Vol.XL, No.4 , Abdulaziz University , Jeddah, Saudi Arabia* .

Borrmans: Maurice

Massignon, Jésus et Marie, Hallâj et Fâtim, Islamochristiana , UNiversity Platform for research on Islam, vol. 36 , 2010 .

-***Krokus: Christian.***

Louis Massignon's influence on the teaching of VaticanII on muslims and islam,Vol.23, No.3,joly212,

-***Massignon: Louis***

Les maîtres qui ont guidé ma vie, Horizons Maghrébins – Le droit à la mémoire, Horizons Maghrébins , La notion d' « Occident Musulman » / Louis Massignon homme de dialogue des cultures, N°14-15, 1989.

-***Ollivry :Florence***

Analysehistoriogr aphique Louis Massignon et la mystique musulmane ,méthodologiqueetréflexived'une contribution à l'islam, Thesede Doctorat, l'Université de recherche, Paris Sciences et Lettres – l'Université de Montréal et de École Pratique des Hautes, 2009

-***M. Thomas : Scott*** . *A Trajectory Toward the Periphery: Francis of Assisi , Louis Massignon, Pope Francis , and Muslim – Christian Relations The Review of Faith & International Affairs , Vol. 16, 2018 – Issue* .